إنجيل جمليئيل

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

تصف النسخة الكاملة من إنجيل جمليئيل، وهو منحول يعود إلى القرن الرابع[1]، أو الخامس، أو حتّى السادس، الأحداثَ التي تلت قيامة يسوع، وتمجّد شخصيّة بيلاطس كما شخصيّة زوجته، اللذَين يُعنيَان بالحفاظ على الكفن الذي لُفَ به جسد يسوع في القبر.

١ – عنوان الإنجيل

أطلق الباحثان باومْشْتَرْكِ (Baumstark) ولاَدُوز (Ladeuze) التسمية "إنجيل جمليئيل"، على عظةٍ يتضمّن جزءٌ منها "رثاءَ مريم" أو "مراثي مريم"، فاختاروا هذا الأخير عنوانًا لنصّ يضمّ موضوعات وأنواعًا أدبيّة متنوّعة، كالرثاء، والسرد، والمراسلة، والاستجواب، وغيرها، لذلك فإنّ هذه التسمية غير دقيقة بالتمام. يجمع "رثاء مريم" بين السرد المكتوب من منظور جمليئيل وبين كلمات الواعظ.

يمكن هنا العودة إلى ما لاحظه في هذا السياق الباحث فان دِنْ أودِنْرِين (van den OUDENRIJN)، ألا وهو أنّ "العنوان "رثاءَ مريم"، الذي نجده في المخطوطات الإثيوبيّة، هو غير ملائم للنصف الثاني من العظة التي نحن بصددها؛ ففي الجزء الثاني من السرد لا يَرِدُ ذكرُ مريم على الإطلاق. في واحد فقط من المخطوطات، وهو على ما يرى النقّاد، موضوعٍ في وقت متأخّر، يُقسَمُ الكتيّبُ إلى أحد عشر فصلاً؛ في الخمسة الأولى منها غير واضح أين ينبغي أن نعتبر أنّنا أمام السرد الأصليّ لجمليئيل، وأين نحن أمام إضافات تعود إلى الواعظ"[2].

٢ – المؤلِّف

انتشرت عظة لهِرْياقُوس أو سرياقوس، أسقف البهناسا، تحمل عنوانًا في الترجمة الإثيوبيّة: **لاَهَا مَرْيَمْ**، أي **مرثاة مريم**. إنّ المؤلِّفَ، الذي تمَّت مَسْحَنَةُ اسمه من قِبَل كتّاب حديثين، بسبب الجناس، حتّى صار "كيرياكوس"، هو مشهور كذلك بفضل مؤلّفات أدبيّة أخرى. من المحتمل أن يكون قد عاش في مستهلّ العصر الوسيط، في زمنٍ كانت فيه اللغة القبطيّة، ما زالت مزدهرة جدًّا.

(1) Cf. Marcus A. van den OUDENRIJN, *Gamaliel: Äthiopische Texte zur Pilatusliteratur*, *Spicilegium Friburgense* 4, Freiburg (1959). Voir A. GUILLOMONT, *Revue de l'histoire des religions*, 164/2 (1963) 242-244.

(2) Cf. M.-A. van den OUDENRIJN, *New Testament Apocrypha*, vol. 1, p. 558-559.

٣ – تاريخ الإنجيل

يبدو أنّ النصّ، كما هو في حالته الحاضرة، يرقى إلى القرن الخامس أو السادس، علمًا أنّه من غير المستَبعَد أن يكون قد جرى استعمال عناصر أقدم من السرد.

٤ – لغة الإنجيل

لا دليلَ يجعلنا نفترض بأنّ المؤلّف قد نُشِر أصلاً في اليونانيّة. علاوةً على ذلك، وكما هو معروف، لا يتكلّم الكتّاب اليونانيّون عليه. يجب البحث عن المؤلِّف الحقيقيّ بين الأقباط المصريّين. من المؤكّد بالتالي أنّ النصّ قد وُضِعَ أساسًا في اللغة القبطيّة، ولكن مع بعض استخدام لعناصر مصدرها يونانيّ (أدب بيلاطس).

٥ – أسلوب الإنجيل

إنّ الطريقة التي وَفْقَها يكرّر الكاتب ويوسّع بحرّيّة أخبارًا ودوافعَ مصدُرها – مباشرةً أو عن طريق السماع، ليس من السهل الجزم في ذلك – الأدبُ القانونيُّ (خاصّة يوحنّا)، منحول أو من الفولكلور يستجيب للدرجة المتواضعة من ثقافته وللاهتمام البسيط لقرّائه، مواطنين عاديّين أو مزارعين. بالتالي لا تسبّب مختلفُ التناقضات أو الاعتباطيّات الكثير من العجب. تذكّر الصيغة بالأناجيل المتأخّرة للطفولة. يريد المؤلِّف خاصّةً أن يُمْتِع، مقدِّمًا في آنٍ معًا أمرًا بنّاءً، مقبولاً ومرغوبًا، مع أخبارٍ هي أحيانًا جديدة أو تقريبًا جديدة. نعرف هكذا أنّ الشابّ الذي فرَّ عاريًا في بستان الزيتون هو يعقوب، أخو الربّ (١: ٣٨)، وأنّ بين النساء، عند الصليب، كانت أيضًا حنّة، امرأة كوزا (٢: ٢٧). الاسم المستعار لرابّي كبير، هو يتغطّى به، لا يمنعه من أن يُظهِرَ روحًا لاساميًّا حادًّا.

٦ – هدف الإنجيل

من الواضح أنّ هذه الوثيقة قد وُضِعَت باللغة القبطيّة على يد مسيحيّ أرثوذكسيّ، كان على عداء تجاه اليهود. وكانت رغبته الرئيسيّة التأكيد على حقيقة قيامة يسوع ببراهين يزعم أنّها جديدة، من جهة، وتقديم بيلاطس بصورة إيجابيّة تناقض الصورة السلبيّة المعتادة عنه، خاصّةً وأنّ الكنيسة القبطيّة تعتبره قدّيسًا وتؤدّي له الإكرام على هذا الأساس، من جهة ثانية. اليهود، الذين يصفهم يوحنّا، مع رئيسهم هيرودس، هم المذنبون الوحيدون الحقيقيّون في مسألة صلب يسوع. تظهر صورة بيلاطس في ضوء مؤات وملائم جدًّا، أيضًا أكثر ممّا في **إنجيل بطرس**.

يبدو إنجيل جمليئيل كواحد من النصوص الرئيسيّة المتعلّقة بالقيامة، التي يبدو الدفاع عنها بحجج جديدة هو المثال الرئيسيّ للمؤلّف. يجب بالتالي ألاّ تُنسَى حساسيّة الكاتب الرقيقة والصادقة، كما مواطنوه تجاه **الأُمّ الحزينة**. هي تشارك بشكل ناشط وفاعل وإنسانيّ في آلام يسوع، عندما كان ينازع على الصليب، وبعد القيامة، حالّةً محلّ المجدليّة، وتتلقّى هي أوّلاً ظهور الابن. لا تشكّل التقوى المريميّة التي يُكشَفُ عنها، أيّة صعوبة بعد مجمع أفسس (٤٣١). نشير أيضًا إلى أنّ هناك شيئًا من الاعتماد على **أعمال بيلاطس**، ويمكننا هكذا أن نشير كتاريخ محتَمَل للنصّ الحاليّ القرن السادس. لكن يجب ألاّ تنقص الدوَافع القديمة، التي أُدرِجَت وشُكِّلَت في السياق الجديد.

٧ – تقسيم نصّ "رثاء مريم" وموضوعاته[٣]

العنوان، **مرثاة مريم**، يتوافق تمامًا مع مضمون الجزء الأوّل من العظة، بالتأكيد حتّى ٦: ١٩ منها؛ فبدءًا من هذه النقطة لا تعود العذراء تُذكَر بالاسم.

لقد أُعطِيَ التقسيم إلى فصول من مخطوط متأخر؛ أمّا تقسيم النصّ إلى آيات فقد حقّقه أُودِنْرِين (Oudenrijn). يسعى هذا الباحث كذلك إلى أن

(3) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in in *op. cit.*, p. 346-362.

يفصل، على قدر الإمكان، مادّة **العظة** عن مادّة **جمليئيل المنحول**؛ إلى هذا الأخير هو ينسب: ١: ٣٦–٤٤، ٤٩–٥١، ٥٦–٥٩؛ ٢: ١٣–٢١، ٢٧–٣٤، ٣٩–٤١، ٥٢ – ٣: ٢٥، ٤٠ – ٤: ٤. بدءًا من ٥: ٢ ينقطع سَرْد جمليئيل عن العظة، مثلاً، ٨: ٤. الخاتمة ١١: ١٢–٥٠ هي توسيع حديث، وتنتهي بشكل مفاجيء. تفاصيل الخاتمة لا تتزامن دائمًا مع ما يسبق (رج ١١: ١٧ = يو ١٩: ٣١ و٣: ١٩–٢١؛ ١١: ٣٦ و٣: ٤٤ي؛ ١١: ٤٩ و٢: ١٧).

أيضًا المصطلحات الإثيوبيّة للحاكم والملابس الجنائزيّة تُبرِزُ اختلافًا عن مصطلحات الرواية السابقة. في ما يتعلّق أخيرًا بالرسالتَين المدرجتَين فيها، أي، على التوالي، **التقرير الودّيّ من بيلاطس إلى هيرودس** (آ ١٥–٢٣)، **وجواب هذا الأخير** (آ ٣١–٣٤)، أصل التوسيع التالي، فإنّهما تتمايزان بوضوح عن تلك التي في السريانيّة أو في اليونانيّة.

على العموم قد يكون التقسيم التالي هو المنطقيّ أكثر ما يكون:

١: ١–١٦: تمهيد للعظة (H)[٤]

١: ١٧–٣٥: رثاء العذراء الأوّل (H)

١: ٣٦–٤٤: مريم تبحث عن الرسل

١: ٤٥–٥٥: رثاء العذراء الثاني (H)

١: ٥٦–٥٩: يوحنّا يأخذ مكان بطرس (G)[٥]

١: ٦٠ – ٢: ١٢: العذراء تذهب إلى الجلجلة (H)

٢: ١٣–٢١: الأمّ عند الصليب (G؟)

٢: ٢٢–٢٦: مزيد من رثاء العذراء (H)

٢: ٢٧–٣٤: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٢: ٣٥–٣٨: كلمات مريم الأخيرة للفراق (H)

٢: ٣٩–٤١: زلزال وظلمة لدى موت يسوع (G)

٢: ٤٢–٥١: تجدّد رثاء العذراء (H)

٢: ٥٢ – ٣: ٢٥: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٣: ٢٦–٤٠: مراثٍ جديدة لمريم؛ إدراج من قبل الواعظ (H)

٣: ٤٠ – ٤: ٤: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٤: ٥ – ٥: ١: مراثي مريم قرب القبر الفارغ؛ توسيعات وعظيّة (H)

من **٥: ٢ إلى ١١: ١١** لدينا **سرد جمليئيل**، نادرًا ما تقطعه بعض نوبات بلاغيّة يُدخلُها **الواعظ**، على سبيل المثال **٨: ٤**

٦: ٢١ – ٧: ٩: بيلاطس يؤمن بقيامة يسوع

٧: ١٠–٢١: بيلاطس يستجوب الجنود الذين وقفوا يحرسون القبر، ويكشف القناع عن أكاذيبهم

٧: ٢٢ – ٨: ١٤: شفاء القائد من خلال ملامسة الملابس التي دُفِن بها يسوع

٨: ١٥ – ١١: ٥: انتشال رجل ميت من قبر يسوع

١١: ٦–١١: تفسير من قبل جمليئيل الشاهد العيان

١١: ١٢–٥٠: المقطع النهائيّ، **تبادل رسائل بين بيلاطس وهيرودس**، هو على الأرجح مواصلة لاحقة لرواية جمليئيل، التي تنقطع في **١١: ٥٠**.

(٤) يشير الحرف H (Homélie) إلى "العظة".

(٥) يشير الحرف G (Gamaliel) إلى "جمليئيل".

٨ – تَناقُلُ الإنجيل وتعريبُه[٦]

تواصل نَسْخُ النصّ الأصليّ أقلّه حتّى القرن العاشر؛ وعندما تفوّقت اللغة العربيّة، نُقِلَت عظة هِرْياقُوس المذكورة مرّات عدّة إلى العربيّة؛ واحدة من هذه النسَخ أو بالأحرى من هذه المراجعات للنصّ هي في أساس النسخة الأثيوبيّة التي حقّقها المتروبوليت أبّا سَلاَمَا حوالى سنة ١٣٥٠ تقريبًا.

٩ – نشر الإنجيل

تمّ نشر أجزاء، قبطيّة، تنتمي إلى مؤلّفات مختلفة ومصدرها مخطوطات متنوّعة، في مستهلّ القرن العشرين على يد لاكو (Lacau) ورِفيلّو (Revillout). استفاد من بعضها بشكل مستقلّ باومْشْتَرْك (Baumstark) ولاَدُوز (Ladeuze) من أجل الحصول على رسم تخطيطيّ لِمَا أُعطِيَ على يدهما اسم **إنجيل جمليئيل**. لا تزال هناك مراجعات عربيّة مختلفة للعظة المذكورة، منشورة جزئيًّا في كتب عبادات لدى أقباط مصر. هناك مراجعة أخرى عرّف بها مِنْغانا (Mingana) الذي استعان بمخطوطَين كرشونِيَّين (عربيّ بخطّ سريانيّ) كانا قطعتين من النصّ الإثيوبيّ معروفتين منذ سنة ١٨٩٢، لكن فقط سنة ١٩٥٩، وبعناية أُودِنْرين (Oudenrijn)، ظهرت طبعة كاملة مع ترجمة ألمانيّة للنصّ.

١٠ – مَن كان جمليئيل؟

كما هو الحال بالنسبة إلى العديد من الشخصيات البيبليّة، وأيضا من حيث الأهمّيّة، لا يُعرَف الكثير عن حياة جمليئيل سوى أنّه كان ابن شقيق هِلِّل هَنَّسِيء، مؤسس مدرسة رابّينيّة فرّيسيّة، الذي صاغ واحدًا من توصيات التوراة الستمائة وثلاث عشر ("لا تعمل لقريبك ما لا تريد أن يُعمَلَ لك"). درس جمليئيل أيضًا، مثل سلفه، "شريعةَ الآباء". وإذ كان موضوع تقدير لدى الشعب العبريّ، أسّس هو أيضًا مدرسة، أقل أهمّيّة من مدرسة هِلِّل، وكان معلّمًا لشاول، الذي سيصبح بولس الرسول مستقبلاً.

يخبر سفر أعمال الرسل عن تدخُّل جمليئيل لصالح بطرس ويوحنّا، اللذَين كانَا يكرزان بالإنجيل، وأُحضِرَا من قِبَل الصدّوقيّين أمام السنهدرين الذي كان جمليئيل تحديدًا عضوًا فيه.

نُدرِج هنا ما ورد في أع ٥: ٣٤–٤٠ **حول جمليئيل:**

"فقامَ في المجلسِ فرّيسيٌّ اسمُه **جمليئيل**، وكانَ مِن مُعلِّمي الشَّريعة، وله حُرمةٌ عندَ الشَّعبِ كلِّه، فأَمَرَ بإخراجِ هؤلاءِ الرِّجالِ وقتًا قليلاً، ثُمَّ قالَ لهم: "يا بَني إسرائيلَ، إيَّاكم وما توشِكونَ أن تَفعلوه بهؤلاءِ النَّاس؛ فقَد قامَ ثودَسُ قَبلَ هذهِ الأيَّام، وادَّعى أنَّه رَجُلٌ عظيم، فشايَعَه نحوُ أربعمائةِ رَجُل، فقُتِلَ وتَبَدَّدَ جميعُ الَّذينَ انقادوا له، ولَم يَبْقَ لهم أثَر. وبَعدَ ذلك قامَ يهوذا الجليليُّ أيَّامَ الإحصاء، فاستَدرَجَ قومًا إلى اتِّباعه، فهَلَكَ هو أيضًا، وتَشَتَّتَ جميعُ الَّذينَ انقادوا لَه. وأَقولُ لكم في صَدَدِ ما يَجري الآن: كُفُّوا عن هؤُلاءِ الرِّجال، واترُكوهم وشأنَهم، فإن يَكُنْ هذا المقصَدُ أو العملُ مِن عندِ النَّاس فإنَّه سيَنتَقِض، وإن يَكُنْ مِن عندِ الله، لا تستطيعوا أن تَقْضوا عليهم. ويُخشى عليكم أن تَجِدوا أنفُسَكم تُحارِبونَ الله". فأَخَذوا برأيِه، ودَعَوا الرُّسُلَ فضَرَبوهم بالعِصِيّ ونَهَوهُم عنِ الكلامِ على اسمِ يسوع، ثُمَّ أَخلَوا سبيلَهم..."

لماذا اتّخذ جمليئيل هذا الموقف بعد صلب يسوع؟ لماذا خاطر، وهو عضو في السنهدرين، بهذا الموقف المتقدِّم والمثير لو لم يكن في الوقت نفسه من أتباع

(6) Mario ERBETTA, "Il vangelo di Gamaliele", in *Gli Apocrifi del Nuovo Testament*, I/2, Marietti 1981, ristampa 1992, p. 344-345: "Trasmissione".

الديانة الجديدة أو من محبّذيها؟ ربّما يأتينا تأكيد من الإنجيل بحسب يوحنّا، الوحيد الذي يذكر نيقوديموس جنبًا إلى جنب مع يوسف الرامي، الذي ساهم في إنزال جسد يسوع بعد الصلب، وجلب الحنوط لتحضيره للدفن. وفقًا للتقليد، ومن أجل هذه اللفتة، أُخِذَت أملاك نيقوديموس كلّها. في هذه الحالة أيضًا لم يدافع فقط جمليئيل عنه أمام السنهدرين، بل استضافه في منزله.

١١ – جمليئيل شاهد عيان

استنادًا إلى ما يكتبه جمليئيل، يُلاحَظ تدخّلُه المباشر في الجزء الثاني، أي بعد قتل يسوع. هو يؤكّد بوضوح: "أنا كنت هناك وعاينتُ".

ماذا يبغي جمليئيل أن يجعلنا نفهم؟ ربّما، حقيقة أنّه قبل الحكم على يسوع وموته كان يؤمن بديانة الآباء، وفورًا عند قتل يسوع أدرك أنّ هذه الديانة كانت "كاذبة" أو خاطئة "يديرها" كهنة كذبة، وغير عادلين وقَتَلَة.

حول هذا الأمر، وحول نفاق رؤساء اليهود، لا تورد الأناجيل الأربعة شيئًا سوى إشارة وجيزة في فقرة حوالى النهاية، في نص متّى، الذي يقول:

"وبينما هما ذاهبتان جاءَ بعضُ رجالِ الحرسِ إلى المدينة، وأَخبَروا عظماءَ الكهنةِ بكُلِّ ما حَدَث. فاجتمعوا هم والشُّيوخ، وبعدَما تشاوروا أَعطَوا الجنودَ مالاً كثيرًا، وقالوا لهم: قولوا إنَّ تلاميذَه جاؤوا ليلاً فسَرقوه ونحنُ نائمون. وإذا بَلَغَ الخبرُ إلى الحاكِم، أَرضَيناه ودَفَعْنا الأَذى عنكُم. فَأَخذوا المالَ وفعَلوا كما لَقَّنوهم، فانتشرت هذه الرِّوايَةُ بينَ اليهودِ إلى اليوم" (مت ٢٨: ١١–١٥).

١٢ – جمليئيل والمؤلِّف[٧]

الكاتب الذي إليه ترقى أبوّة الإنجيل المنحول الذي نحن بصدده، إذ كان يرغب في أن يطوّر ويعزّز أيضًا، كما يفعل مؤلِّفون آخَرون من هذا النوع، بمن فيهم الوعّاظ، المعطيات المتروكة من النصّ المقدّس، والمتعلّقة بالآلام والقيامة، لم يتأخّر بالتأكيد عن أن يدرك أنّ اسم جمليئيل، كما أيضًا أسماء بطرس، وبيلاطس، ونيقوديمس، مثلاً، كان بإمكانه أن يقدّم درجةً عاليةً من الضمانة لروايته. وهكذا، ما هو مسرود هو موضوع على فم الشخص المذكور أعلاه (٨: ١٦؛ ١١: ٦، ٨). المقصود بدون شكّ هو جمليئيل القديم؛ كان ابن أخيه، جمليئيل الشابّ، رئيسَ السنهدريم في يَبْنَه بعد خراب الهيكل. الشخص المشهور، الذي كان ينتمي إلى الجيل الأوّل من **التنّائيم**، هو مذكور أكثر من مرّة، إنْ في **المِشْنَه**، وإن في **أعمال الرسل**. في أع ٢٢: ٣ نقرأ أنّ بولس تعلّم الشريعة عند قدمَيه وَفْقَ التأويل الأكثر أرثوذكسيّة. الموقف المتسامح الذي دعمه أمام العقيدة الجديدة حصل على قرار بألاّ تُفاقِمَ السلطات اليهوديّة الوضع ضدّ الرسل المعتقلين بأمر من عظيم الأحبار (أع ٥: ٣٤–٣٩). كان بإمكان "عالِم الشريعة، المقبول من الشعب بأسره"، أن يبدو هكذا في التقليد اللاحق كمسيحيّ[٨]. استنادًا إلى هذه الوثيقة الأخيرة، وُجِدَت عظامُه، عظام الابن، وعظام نيقوديمس الصدّيق، على الأرجح، مع عظام إسطفانوس، سنة ٤١٥، في القرية التي تحمل الاسم نفسه "كَفَرْجَمَالاَ". إنّ الجمع بين نيقوديمس وجمليئيل له ما يشهد له في نصّنا، أقلّه استنادًا إلى النصّ العربيّ، نصّ مِنْغانا، الذي فيه يظهر الأوّل كمعاون. في النسخة الإثيوبيّة يرد بدلاً من ذلك ذِكْر أنيفوس، الذي يتطابق دون شكّ مع أبيباس أو أبيبوس بحسب *Ep. Luciani*.[٩]

١٣ – قيامة يسوع في إنجيل جمليئيل

أ – شفاء عين القائد بلفائف يسوع القائم من الموت

(7) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in *op. cit.*, p. 345-346: “Gameliele e l’autore”.

(8) *Rec. Clem.* 1. 65-67; *Ep. Luciani*.

(9) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in in *op. cit.*, p. 345-366.

استنادًا إلى **إنجيل جمليئيل**، حصل ارتداد الحاكم الرومانيّ بيلاطس عند قيامة المسيح. في الواقع، "لمّا دخل بيلاطسُ قبر المسيح، أخذ اللفائف وضمّها، ولشدّة فرحه، فاضت عيناه بالدموع. ثمّ التفت إلى واحد من قوّاده الذي كان قد فقد إحدى عينيه في الحرب وفكّر: أنا متأكّد من أنّ هذه اللفائف ستعيد البصر إلى عينه. وإذ قرّب منه اللفائف قال له: ألا تشمّ، يا أخي، رائحة هذه اللفائف؟ لا تنبعث منها رائحة جثّة، بل أرجوان ملكيّ مشبع بالعطور العذبة [...]. تناول القائدُ هذه اللفائف وراح يضمّها قائلاً: أنا متأكّد من أنّ الجسم الذي لففتِه قد قام من بين الأموات! وفي اللحظة التي مسّها وجهُه، شُفِيَت عينُه، ورأت النور البهج كما كان قبلاً. كان هذا كما لو أنّ يسوع قد وضع يده عليه، مثلما فعل للمولود أعمى".

ب – بيلاطس شاهد لقيامة يسوع

في العديد من الأناجيل المنحولة هناك فصل مخصّص لشهود القيامة، الذين يتضاعف عددهم بالمقارنة مع ما في الأناجيل القانونيّة، والذين يصبحون مشاهدِينَ لتجلّياتٍ رائعة. إليك كيف يخبر بيلاطس نفسه عن تجربته استنادًا إلى **إنجيل جمليئيل**:

"رأيت يسوع إلى جانبي! تجاوز بهاؤه بهاءَ الشمس، والمدينة كلّها كانت مستنيرةً به، باستثناء مجمع اليهود! وقال لي: يا بيلاطس، أنتَ تبكي، على ما يبدو، لأنّك جلدتَ يسوع! لا تخف! أنا هو يسوع الذي مات على الصليب، والذي قام من بين الأموات. هذا النور الذي تراه هو مجد قيامتي التي تغمر العالم بأسره بالفرح! أسرع إذًا إلى قبري: سوف تجد اللفائف التي لا تزال هناك، والملائكة الذين يحرسونها؛ إرمِ نفسك فوقها، وقبّلها، صِرْ بطلَ قيامتي، فترى عند قبري معجزات عظيمة: العرج يمشون، والعميان يبصرون، والموتى يقومون. كن قويًّا، يا بيلاطس، لكي تكون منوَّرًا ببهاء قيامتي التي سينكرها اليهود". وفي الواقع، عندما وصل بيلاطس إلى قبر المسيح، عاين المفاجأة تلو الأخرى، والتقى حتّى باللص الذي أُقيمَ من الموت.

هناك إذًا، في الكتب المنحولة، مسيحٌ "آخر" قام من الموت، والتقى جمهورًا من الناس، بالمقارنة مع رواية الأناجيل القانونيّة، التي هي أكثر اقتضابًا وإيجازًا.

ج – لقاء مريم بابنها القائم من الموت

هناك تقليد آخر منحول مملوء حيويّة على وجه الخصوص، هو تقليد يتعلّق بمريم أُمّ يسوع. لا تقول الأناجيل القانونيّة شيئًا عن لقائها مع القائم من الموت. في الواقع، بعد مشهد الجلجلة (يو ١٩: ٢٥–٢٧)، ننتقل إلى كتاب أعمال الرسل، الذي، استنادًا إليه، كان تلاميذ يسوع "بقلب واحد مواظبين على الصلاة" مع مريم "في الطابق العلويّ من بيت [أورشليم] الذي كانوا يعيشون فيه"(أع ١: ١٣–١٤)، دون إضافة أيّ شيء عن لقاء الربّ القائم من الموت بأمّه. تعوّض المنحولات بوفرة عن هذا النقص.

لنعُدْ إلى **إنجيل جمليئيل**. مريم، الخائرة القوى من شدّة الحزن، تبقى في البيت، ويوحنّا هو الذي يخبرها عن دفن ابنها. ولكنّها لا تقبل أن تبقى بعيدةً عن قبر يسوع، لذا قالت ليوحنّا والدموع ملء العينين: "حتّى ولو كان قبر ابني مجيدًا كما سفينة نوح، لن أشعر بأيّة سلوى إذا لم أستطع أن أراه لأبكي هناك. أجاب يوحنا: "كيف يمكننا أن نذهب إلى هناك؟ أمام القبر يوجد أربعة جنود من جيش الحاكم الذين يحرسون [...]. ولكنّ العذراء لم تدعْه يردعها؛ ويوم الاحد باكرًا، ذهبت إلى القبر؛ وإذ وصلت مسرعةً، تطلّعتْ حولها، فرأت الحجر الذي كان قد دُحرِج عن القبر، فهتفت: هذه المعجزة حصلت لابني! انحنت إلى الأمام، لكنّها لم ترَ جثمان ابنها في القبر. وعندما أشرقت الشمس، في حين كان قلب مريم في غمٍّ وحزن، شعرت بأنّ القبر يجتاحه عطرُ طيوبٍ جاء من الخارج، يبدو أنّه عطرُ شجرةِ الحياة! استدارتِ العذراء، حول عليّقةٍ من البخور وبالقرب منها رأت الله واقفًا، متّشحًا بثوب بهيٍّ من الأرجوان السماويّ".

ولكنّ مريم لم تعرف ابنها في هذه الشخصيّة المجيدة. عندها بدأ حوار مماثل للحوار الذي بين مريم المجدليّة والمسيح القائم من الموت بحسب إنجيل يوحنّا (٢٠: ١١–١٨)، فتوضّح اللغز أخيرًا: "لا تضطربي، يا مريم! أنظري وجهي جيّدًا، وكوني على قناعة بأنّني ابنك". فردّت مريم متمنّيةً له "قيامة سعيدة"، ساجدةً له لتعبدَه وتقبّل قدميه.

١٤ – الإنجيل في الاستعمال الليتورجيّ

العدد الأكبر من المخطوطات الإثيوبيّة التي فيها العظة التي نحن بصددها – وحده المتحف البريطانيّ يمتلك ستّة منها ترقى إلى القرن الثامن عشر – يبيّن كم كانت مقبولة لدى مؤمنيّ الكنيسة الحبشيّة. كان النصّ، المقسَّم إلى مقاطع، يُسْتَخْدَم كقراءة ليتورجيّة خلال أسبوع الآلام المقدّس، كون التأليف تحديدًا يتعلّق بوقائع يوم الجمعة المقدّسة والأيّام التي تلي.

١٥ – نماذج من إنجيل جمليئيل

نُدرِج في ما يلي **بعض المقاطع** المستلَّة **من إنجيل جمليئيل** في جزءين متميّزين[١٠]:

– الجزء الأول: ٧: ١١ – ٨: ١٤
شهادة كاذبة من الحرّاس

[٧: ١١]. الآن، بدلاً من الشهود الثلاثة، هناك الجنود الأربعة الذين كانوا يحرسون القبر؛ إذا كانوا قد شهدوا أنّه قام من بين الأموات، فإنّ كلمتهم تكون صحيحة، ولكن إذا لم يشهدوا لذلك، لا تكون لنا علاقة بالأحلام".

[١٢] ثمّ دعا بيلاطس الجنود الأربعة وسألهم: "ماذا حدث اليوم في القبر؟". وإذ أدركوا أنّ كلاً منهم يتحمّل مسؤوليّة الهرب، قدّموا شهادة كاذبة: (يسوع) لم يقم، بل سُرِق جثمانه.

[١٣] أمر بيلاطس بالفصل بينهم وبإدخال كلّ واحد في مكان مختلف.

[١٤] ثمّ أمر بإحضار الأوّل، وقال له: "قل لي الحقيقة: مَن الذي سرق جسد يسوع؟". فقال له: "بطرس ويوحنّا سرقَا جسده".

[١٥] وأمر بعد ذلك بإبعاده؛ وجيء بالثاني فقال له: "أنا مقتنع بأنّك وحدك فقط تعرف أن تقول لي الحقيقة. إشرح لي جيّدًا: أيّ رسول سرق جسد يسوع من القبر؟".

[١٦] فأجابه: "جاء التلاميذ الاثنا عشر جميعهم سويًّا، وسرقوه خلسةً".

[١٧] وأمر بعد ذلك بأن يبعدوه، ثمّ دعا الثالث وقال له: "بالنسبة إليّ، شهادتك هي أفضل من الشهادتَين الأخريَين؛ مَن سرق من القبر جسد يسوع؟".

[١٨] فأجابه: "قام بذلك يوسف ونيقوديموس؛ فلقد جاءَا ليلاً مع جميع خدمهم، ومن دون بذل الكثير من الجهد خطفوه، وزاحوا أيضا الحجر".

[١٩] ودعا الرابع، وقال له: "أنت ذو درجة أعلى من التي للآخَرين؛ في الواقع، هم أطاعوا أوامرك، وخضعوا لقيادتك، أعلمني بالتالي: كيف حصل أن اختُطف جسد يسوع بينما كنتم أنتم تحرسون؟".

[٢٠] فأجابه: "نحن لا نعرف، يا سيّد، مَن الذي أخذه، لأنّنا كنّا نائمين، وعندما استيقظنا وجدناه في بئر البستان، وظننّا أنّهم فعلوا ذلك خوفًا من العبرانيّين".

[٢١] **بيلاطس والسلطات العبريّة عند القبر.** قال بيلاطس للعبرانيّين وللقائد[١١]: "أهذا أفضل الآن أنّ تقاريرهم لا تتطابق، وشهادتهم هي كاذبة؟". وإذ امتلأ غضبًا، أمر بوضع الجنود في السجن حتّى يكون هو قد

(١٠) لقد نقلنا هذين الجزءَين فقط إلى العربيّة بهدف إعطاء فكرة عن أسلوب إنجيل جمليئيل وعمّا يتضمّنه، على أمل أن نعرّبه كلّه مستقبَلاً.

ذهب إلى القبر.

[٢٢] ومن دون تأخير، نهض مع قادة العبرانيّين، والقائد، ورامي السهام، ورؤساء الكهنة، وذهبوا إلى القبر، فوجدوا الأكفان، ولكن دون الجثمان.

شفاء قائد المائة

[٢٣] قال لهم بيلاطس: "أنتم تكرهون حياتكم! لو كان الجثمان قد اختطف، لكانت الأكفان أيضًا أُخِذَت".

[٢٤] فأجابوا: "بالتأكيد، هذه الأكفان ليست له، بل لآخَر".

[٢٥] تذكّر بيلاطس الكلمة التي كان قد قالها له ربُّنا، ألا وهي أنّه في قبره ستحدث معجزات عظيمة.

[٢٦] وإذ دخل على الفور إلى القبر، أخذ بيلاطس الأكفان، وضمّها، وبفرح عظيم، انهمرت دموعه التي تكفي لأن تغمر يسوع.

[٢٧] ثم التفت إلى القائد، الذي كان قد بقي عند مدخل القبر، والذي كان أُحادِيَّ العين لأنّه كان قد جُرِح في الحرب من فترة طويلة.

[٢٨] فكّر بيلاطس في نفسه: أنا متأكّد من أنّ هذه الأكفان ستعيد النور إلى عينه.

[٢٩] قرّب الأكفان منه وقال له: "هل تشمّ يا أخي، رائحة الأكفان؟ هذه ليست رائحة جثّة، بل هي مشبعة برائحة أرجوان ملكيّ ذي عطور عذبة".

[٣٠] ولكنّ العبرانيّين قالوا له: "أنت تعلم جيّدًا، يا بيلاطس، أنّ يوسف قد استخدم طيوبًا وبخورًا، وأنّه نضحه بالمرّ والصبر. هذا هو سبب العطر".

[٣١] أجاب بيلاطس: "حتىّ لو كانت قد استُخدِمت مع الأكفان موادّ معطِّرة، لأيّ سبب يُصدِر هذا القبر رائحة عذبة إلى هذا الحدّ، وكأنّه قد رُشَّت عليه الطيوب والعطور؟".

[٣٢] فأجابوه: "هذا العطر، يا بيلاطس، هو عطر البستان نفخته الريح في داخله".

[٣٣] أجاب بيلاطس: "إحترسوا من أنّكم بمفردكم تعدّون لأنفسكم طريق الخراب الذي عليه سَتَتِيهُونَ إلى الأبد دون أيّ مغفرة".

[٣٤] فأجابوه: "ليس من العدل، ولا يحلّ لك عبور هذا القبر! أنت حاكم، والمدينة بحاجة إليك، ولكنّ سلطانك لا يمتدّ إلى هذا القبر. رؤساء الكهنة وقادة الشعب يفهمون هذا أكثر منك.

[٣٥] لا يحلّ لك ولا يناسبك أن تتجادل مع العبرانيّين من أجل رجل ميت".

[٣٦] عند ذلك قال بيلاطس للقائد: "أنت ترى، أيّها الأخ، كم هي كبيرة كراهية العبرانيّين ليسوع! لقد تبعنا إرادتهم بصلبنا إيّاه، ولكن انظر كيف أنّ العالم بأسره يخرب بسبب شرّهم ومعصيتهم. هم يودّون أن يُودُوا بنا إلى الخراب من خلال حجر العثار نفسه، قائلاً مثلهم: "هو لم يقم من بين الأموات"، متسبِّبًا هكذا، وعمّا قريب، بغضبه، فنسير بعد ذلك كلُّنا سويًّا إلى الخراب".

[٨: ١] **معجزات عند القبر.** بينما كان بيلاطس يتكلّم هكذا مع القائد، كان يمسك بالأكفان في يده ويقبّلها قائلاً:

[٢] "أنا مقتنع بأنّ الجسد الذي كان ملفوفًا على يدكم قد قام من بين الأموات".

[٣] انضمّ القائد أيضًا إلى إيمان بيلاطس نفسه؛

(١١) القائد في مت ٢٧: ٥٤ (مر ١٥: ٣٩)، الذي يلعب دورًا رئيسيًّا في السرد، لا يحمل هنا اسمًا عَلَمًا.

أخذ الأكفان وراح يقبّلها. وفي اللحظة التي فيها لمسها وجهُه، شُفِيَت عينه، ورأى النورَ البَهِجَ كما كان من قبل. لقد حدث كما ولو أنّ يسوع وضع عليه يدَه، مثلما كان قد حصل للرجل المولود أعمى.

[٤] آه ما أروع هذا المشهد لجميع الناس الذين كانوا قد وافوا إلى القبر من المدن جميعها! كانوا قد قَدِموا إلى أورشليم من أجل عيد الفصح، لذلك رأوا (يسوع) يوم صلبه على خشبة الصليب؛ وعندما علموا أنّ بيلاطس قد ذهب إلى القبر ليرى يسوع القائم من الموت، لحقوا به، وهم يفكّرون: سيقوم وسيظهر علنًا كما لعازر.

[٥] ولهذا توافد إلى قبر يسوع جمعٌ غفير: شهد معجزات عظيمة، ورأى القائد الذي كانت عينه قد شُفِيت، فدُهِشوا.

[٦] عندئذ قال بيلاطس للقائد: "لقد شهدتَ معجزات يسوع عند قبره، علاوةً على المعجزات التي حصلت عندما مات على شجرة الصليب".

[٧] وبفرح عظيم مزّق القائد ملابسه ليُظهِر للجميع النعمة العظيمة التي وُهِبَت له.

[٨] وقال: "كما ترون، لقد تجلّت قوّة يسوع المسيح تحديدًا لأنّه هو الله حقًّا". إنّه ابن الله! أنا كنت قد آمنتُ، ولكنّ إيماني بقيامته من بين الأموات قد كبُرَ.

[٩] والآن، لن أخدم أبدًا ملكًا أرضيًّا بعد الآن، بل إلهي يسوع المسيح فقط". "وإذ رمى سيفه وبزّته، قبّل القماش الذي كان يمسكه بيده ملفوفًا، مستديرًا إلى هنا وهناك.

[١٠] وإذ أُصيب بيلاطس بالدهش، راح يسبّح الله. لكنّ العبرانيّين قالوا للقائد: "أنت أجنبيّ وليست لك أيّ فكرة عن الأعمال التي أنجزها يسوع بمساعدة بعلزبوب، سواء أثناء حياته أو عند مماته".

[١١] آخَرون قالوا: "عندما يموت مشعوذٌ ما، تعمل الأرواح الشرّيرة معجزات جديدة في مثواه لجرّ الكثيرين إلى الخطأ. هذه الأعمال هي أعمال سحرة ومشعوذين".

[١٢] ولكنّ بيلاطس ردّ عليهم قائلاً: "لم أسمع قطّ أن سحرة ومشعوذين يعملون مثل هذه المعجزات. أنتم في كلّ الأحوال مخدوعون تجاه حياة ربّنا، ولكنّ غضبه وعقابه سيلحقان بكم".

[١٣] هم أنفسهم، في الواقع، كانوا قد وهبوا أرواحهم إلى الإدانة، قائلين: "دمه وموته علينا إلى الأبد".

[١٤] قال بيلاطس للقائد: "ما وجدتَه، أيّها الأخ، هو الحياة الحقيقيّة، لا تتخلَّ عنه بخفّة بسبب خداع اليهود وكراهيتهم".

– الجزء الثاني: ٨: ١٥ – ٩: ٨

الجثّة التي في البئر ويسوع. قيامة ميت

[١٥]. توجّه بيلاطس إلى العبرانيّين، وقال: "أين هو الميت الذي، بحسب قولكم، هو يسوع؟".

[١٦] سبق العبرانيّون بيلاطسَ والقائدَ إلى بئر البستان، التي كانت عميقة جدًّا، وأنا، جمليئيل، تبعتهم مع الناس.

[١٧] وإذ نظرت إلى قاع البئر، رأيتُ جسدًا ملفوفًا بكفن،

[١٨] فصاح العبرانيّون: "أترى، يا بيلاطس، مشعوذَ الناصرة الذي تحزن عليه والذي تؤكّد على أنه قام؟ ها هو في البئر".

[١٩] أمر بيلاطس بإخراجه. ودعا يوسف ونيقوديموس، وسأل: "هل لفائف الكتّان هذه هي التي بها لففتما الميت؟ هل هي هذه؟".

[٢٠] فأجابَا: "إن لفائف الكتّان هذه التي بين يديك هي تلك التي لربّنا يسوع، في حين أنّ الجسم هو جسم اللصّ الذي صُلب مع يسوع".

[٢١] وتجمّع جمهور العبرانيّين ضدّ يوسف ونيقوديموس، عندما قالاَ الحقيقة، واشتبك بيلاطس وجنوده معهم.

[٢٢] فلمّا رأى بيلاطس كيف كانوا يصيحون ويصخبون، أومأ بيده كي يتوقّفوا عن ذلك؛

[٢٣] في الواقع، هو كان يعتمد على كلام قاله له يسوع، أي أنّ الموتى سيُبعَثون من القبر.

[٢٤] لذلك دعا قادة العبرانيّين وقال لهم: "نحن لا نعتقد إطلاقًا أنّ هذا هو الناصريّ". أجابوا: "نحن نؤمن بذلك".

[٢٥] فأجاب: "لندَعْ الجسمَ في قبره كما يُعمَلُ لجميع الموتى".

اللصّ في قبر يسوع

[٩: ١] ثمّ دعا يوسفَ ونيقوديموسَ وقال لهما: "لُفّاهُ بلفائف الكتّان هذه كما من قبل".

[٢] كان العبرانيّون يصخبون، قائلين: "نحن لا نثق لا بيوسف ولا بنيقوديموس، لأنّهما انضمّا إلى يسوع". أجاب بيلاطس: "فَلأُعتبَرَ أنا جديرًا بذلك!".

[٣] عندها أخذوا لفائف كتّان يسوع ولفّوا بها الميت. أنشد بيلاطس وجنوده النشيد الجنائزيّ، ووضعوه في قبر يسوع؛

[٤] ثمّ أعطى الأمر بوضع الحجر عند مدخل القبر كما كان قد صُنعَ ليسوع.

[٥] وإذ توجّه صوب مدخل القبر، صلّى بيلاطس ويداه مبسوطتان: "أيّها الربّ يسوع، القيامة والحياة وموزّع الحياة على جميع الموتى، أؤمن أنّك قمتَ من الموت وأنّك ظهرتَ لي. لا تَدُنِّي، يا ربّ، لأنّي أنا فعلتُ ذلك خوفًا من العبرانيّين. لن أنكر أبدًا قيامتك.

[٦] أنا بالمقابل أؤمن بقيامتك حسب كلمتك وبالمعجزات التي عملتَها في حياتك مقيمًا العديد من الموتى.

[٧] والآن يا ربّ لا تغضب منّي لأنّني وضعتُ جسدًا آخر في المكان حيث كان قد دُفن جسدُك.

[٨] لقد تصرّفتُ هكذا لكي أُذِلّ وأُخجِلَ أولئك المخادعين الذين لا يؤمنون بقيامتك: لهم اللوم والعار إلى الأبد؛ لك، مقابل ذلك، بفم عبدك بيلاطس، الإكرام والمجد والقدرة في الأبديّة وإلى الدهر. آمين".

خاتمة

لا تشكّل هذه المحاولةُ دراسةً شاملةً أو كافية، بل تبقى جزئيّةً وغير مكتملة، لذا سنعمل على إتمامها مستقبَلاً، بدءًا بتحقيق نقْلِ نصّ إنجيل جمليئيل الذي نحن بصدده نقلاً كاملاً، لنقوم بعد ذلك بدراسة معمّقة وموسّعة على قدر ما ينبغي.

مراجع

ERBETTA Mario, “Il vangelo di Gamaliele”, in *Gli Apocrifi del Nuovo Testament*, I/2, Marietti 1981, ristampa 1992, p. 345-366.

GUILLOMONT A., Compte-rendu sur « Marcus A. van den OUDENRIJN, *Gamaliel. Athiopische Texte sur Pilatusliteratur* », *Revue de l'histoire des religions*, 164/2 (1963) 242-244.

HEARD Gerald, *The Gospel According to Gamaliel*, The Gerald Heard Reprint Series 2009.

SCHNEEMELCHER Wilhelm (Editor), *New Testament Apocrypha*, vol. 1, *Gospels and Related Writings*, Revised Edition, p. 558-560.

van den OUDENRIJN Marcus-Antonius, *New Testament Apocrypha*, vol. 1, p. 558-559.

van den OUDENRIJN Marcus-Antonius, *Gamaliel: Äthiopische Texte zur Pilatusliteratur*, *Spicilegium Friburgense* 4, Freiburg (1959).

http://www.earlychristianwritings.com/gospelgamaliel.html

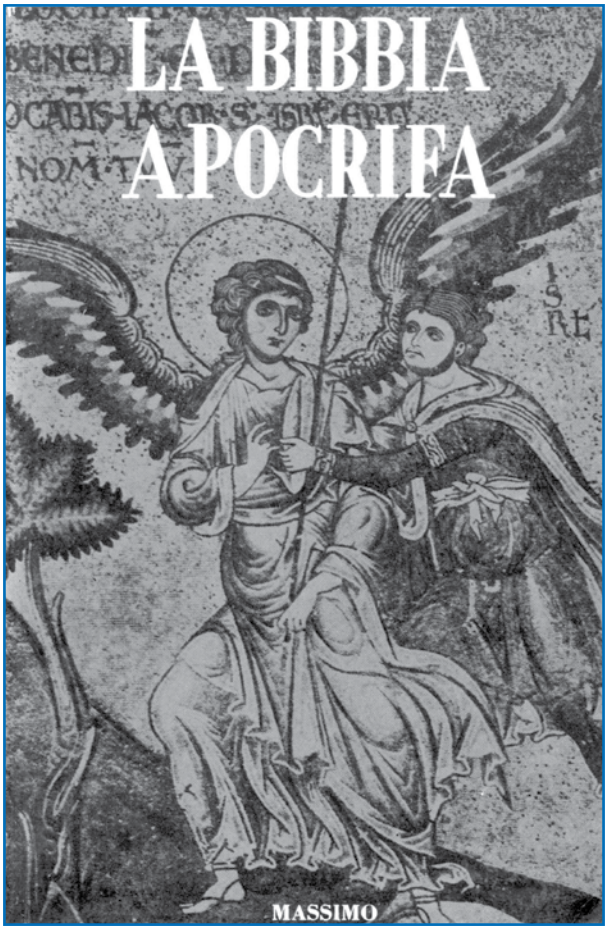

ترتيب زمنيّ للأناجيل القانونيّة والغير قانونيّة